الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي

التدريب
في العصرين الأموي والعباسي

لقد اثرت حركة الفتح الاسلامي للعراق وفارس والشام ومصر تأثيراً كبيراً في حياة المجتمع الاسلامي لان التوسع الاسلامي بمظاهره العسكرية والبشرية والفكرية احدث توسعا ثقافيا وحركة علمية كبرى نابعة من الاسلام وهدفها الدعوة الى العقيدة الاسلامية فاقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم العربية وآدابها وعلى دراسة المصادر الاسلامية القرآن ، الحديث ، الفقه ، فبرز فيهم الكثير من العلماء الذين اصبح لهم اثر في الثقافة العربية ونشر الحركة الفكرية نلمح اسماء كثير منهم في كتب التاريخ والتراجم والطبقات . (١) كما ان ظهور الفرق الاسلامية ومذاهبها كان لها اثر ايضاً في توسع الثقافة في البلاد المفتوحة حيث التقت الثقافة العربية بالثقافات الفارسية واليونانية والهندية ولكل منها صفاتها وميزاتها ثم لم تلبث ان اندمجت وانصهرت في بوتقة عربية اسلامية مكونة الحضارة العربية الاسلامية .

(اثر الثقافات الاجنبية ومدارسها في التعريب)

لقد اقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم اللغة العربية ودراسة آدابها — كما اشرنا قبلا — واخذوا يصوغون افكارهم وعلومهم وآدابهم بما ينسجم والدين الاسلامي والتقاليد العربية فاصبحت اللغة السياسية والثقافية السائدة هي العربية لذلك فان الشعوب (غير العربية) فقدت ذاتيتها اللغوية (٢) بمرور الزمن للتقرب من الفاتحين وقد ادى انتشارها الى شعور شعوب هذه البلدان بالانسجام والتجانس رغم اختلاف قومياتهم وحتى أديانهم . فوحدت اللغة العربية انتماءهم وشعورهم واهدافهم وكان لها اثر في اقبال الكثير من غير المسلمين على الدخول في الاسلام . (٣) ولم يكن اقبال الشعوب غير العربية على تعلم العربية وترك لغتها الاصلية بسبب الاكراه أو الاجبار وانما كما يقول المستشرق بارتولد : (٤) ان غلبة اللغة العربية كان بالاختيار لا بسلطان الحكومة وان تسامح العرب ادى الى انتشار العربية فدرس حنين بن اسحق الخليل بن احمد الفراهيدي

(١) انظر : ابن النديم الفهرست ، البلاذري فتوح البلدان ، ابن سعد ، الطبقات
(٢) انظر : Ency of Islam (art Nahw) T 3.P 894 – 895
(٣) انظر : ديمومبين : النظم الاسلامية ص١١
(٤) انظر : بارتولد : الحضارة الاسلامية ص٣٠

وسيبويه حتى اصبح حجة في العربية (٥) . وبعد ان قطع الموالي واهل الذمة مرحلة كبيرة في تعلم العربية وآدابها اخذوا ينقلون اليها علومهم فاستطاعوا بذلك اضافة علومهم وافكارهم الى دخيرة العرب المسلمين فتكونت من مزيج تلك الحضارات حضارة مطبوعة بالطابع العربي والاسلوب الاسلامي واخذت تنمو وتزدهر منذ العصور الاسلامية الاولى(الراشدي والاموي) وآتت ثمارها في العصر العباسي حيث اصبحت بغداد حاضرة العالم الاسلامي. يتهافت عليها رجال العلم والثقافة والادب والاقتصاد والمال لما اصبحت تتمتع به من مركز سياسي واقتصادي وثقافي فنبغت اعداد كبيرة من العلماء والفلاسفة والادباء والشعراء ينحدرون من عناصر ذمية وغير عربية ومن اخصهم النصارى والفرس والصابئة واهم مابرزوا فيه الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية والسريانية واقلهم تأثيراً في الحضارة وتأثراً بها اليهود ، يقول المستشرق ديورانت : (٦) ولم يكن لليهود القابلية الفكرية والعلمية على الابداع الفكري فحتى التصوف اليهودي تأثر بالزرادشتية وبالافلاطونية الحديثة باستبدال الفيض الالهي بعملية الخلق وتأثروا بالكتب المسيحية والمتصوفة الهنود والمصريين. ويؤكد ذلك ماجاء في دائرة المعارف اليهودية : (٧) ان الفلسفة العبرية جاءت عن طريق كتبهم المقدسة وعن طريق تأثرهم بالفلاسفة العرب .

وقد استفاد اليهود من العلوم العربية التي كانت سائدة في البلاد الاسلامية فترجموا بعضاً من المؤلفات العربية الى العبرية واتقن بعضهم اللغة العربية وآدابها واهتموا بقواعد النحو ومن اولئك مروان بن موسى اليهودي البصري الذي اشتغل بالادب وضبط النحو ولكنه لم يؤلف فيه(٨).

ويبدو ان بروز هؤلاء اليهود في بعض الميادين العلمية يعود الى اتصالهم بالحضارة العربية الاسلامية فاستقوا من مناهلها علومهم المختلفة .

اما النصارى في العراق فقد نعموا بعد الفتح الاسلامي بالحرية الدينية ولما كان اغلبهم عربا فقد التفوا حول المسلمين للروابط القومية واللغوية التي تربطهم باخوانهم العرب فأقبلوا على العناية باللغة العربية وآدابها فاخذوا ينقلون من السريانية الى العربية لان اللغة العربية اوسع

---

(٥) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ج١ص١٨٥ ، ١٨٩ .

(٦) انظر ديورانت : قصة الحضارة ج١٤ص١٣٦ .

(٧) انظر : The Jewish Encyclopedia 1. P. 76

(٨) انظر جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص١١٤ ، غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص١٦٧ .

من السريانية بدليل ان فيها اسماء كثيرة لم تكن موجودة عند السريانيين ولا عند غيرهم بخلاف اسم واحد فقط (٩) . وان قبائل الغساسنة في الشام منذ خضوعهم لكنيسة رومة وهم يستخدمون اللغة العربية في طقوسهم الدينية (١٠) .

وقد برز الصابئة بالفلك والتنجيم واعتبروه عنصرا مهما من العناصر التي يعتمد عليها دينهم ومستقبلهم فهم يعتقدون ان كل كوكب يحكم في يوم من الايام ويتحكم ملائكة معينون بالايام ومن هنا تكون لهم صفات فلكية (١١) .

ويعزون اهتمام الصابئة بدراسة الفلك والتنجيم الى اعتقادهم بالتنبوءات وبأثر النجوم على مستقبل الانسان أيضاً وقد عملوا الطلسمات والسحر والكهانة والتنجيم والتقويم والخواتيم (١٢) .

ولما اتصل الصابئة بالخلافة العباسية صار لهم شأن كبير في نقل هذه العلوم الى العربية . ولعل ازدهار الحضارة وتطور العلوم في العصرين الاموي والعباسي يعود الى رغبة العرب المسلمين في الاطلاع على ما عند الامم الاخرى من علوم ومعارف حتى قال المستشرق سيديو (١٣) عنهم : كان العرب وحدهم حاملين لواء الحضارة في القرون الوسطى و قد حرروا بربرية أوربا وسار العرب الى منافع فلسفة اليونان ولم يقفوا عند حد ما اكتسبوه من كنوز المعرفة بل وسعوه وفتحوا ابواباً جديدة في مختلف العلوم واذا ما بحثنا في الوجه الذي ايقظ الحضارة في المشرق وجدنا حب العرب للعلم وشوقهم الى تحجيل رقيه بانفسهم ، ولعل تشوق العرب للاطلاع على علوم وثقافات الامم الاخرى واهتمامهم البالغ بالعلم دفعهم الى الابقاء على المؤسسات العلمية التي كانت لأهل الذمة في البلاد المفتوحة لعل ماذكره ديورانت (١٤) يؤيد ذلك : كان بنو امية حكماء اذ تركوا المدارس الكبرى المسيحية أو الصابئية أو الفارسية قائمة خاصة في حران ونصيبين وجنديسابور وغيرها و لم يمسوها بأذى وقد حفظت هذه المدارس أمهات الكتب الفلسفية والعلمية معظمها ترجمها الى العربية على ايدي النساطرة المسيحيين وقد بقيت هذه المدارس

---

(٩) ايليا : المجالس السبعة (مخطوط) ورقة ٢٨ .

(١٠) توماس ارنولد : الدعوة إلى الاسلام ص٧٠ .

(١١) دراوور : الصابئة المندائيون ص ١٣٣ ، ص ١٣٥ .

(١٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص٥٠

(١٣) انظر سيديو : تاريخ العرب العام ص ٣٨٣ ، ص ٣٨٥

(١٤) انظر ديورانت قصة الحضارة ج١٣ ص ١٧٧

تؤدي عملها في العصور الاسلامية وزاد اتصالها بالمسلمين في العصر العباسي .
ولابد من الاشارة الى دور هذه المدارس في نشر الثقافة .

فمدرسة حران : —

وحران مدينة في الجزيرة شمال العراق بين الرها ورأس العين وهي مدينة قديمة عاصرت الرومان واليونان والنصرانية والاسلام سكانها من العرب والسريان والارمن والمقدونيين وقد تأثرت حران بالثقافة المقدونية لدرجة ان الآلهة المعبودة في حران كانت اسماء بعضها يونانية (١٥) . واصبحت حران منبعا من منابع الثقافة اليونانية في العهد الاسلامي واتصلت مدرستهم بالخلفاء العباسيين وكان لها شان كبير في نشر الثقافة اليونانية وفي ترجمة كثير الكتب عن اليونانية (١٦) .

وقد برز نخبة من اساتذتها وخريجيها لعبوا دور كبيرا في تعريب علوم اليونان في الفلك والرياضيات والطب منهم ابو عبد الله البتاني وهو احد المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين في علوم الهندسة وهيئة الافلاك وحساب النجوم وله كتاب في الزيج والبروج وغيرها (١٧) . ويعتبر ثابت بن قرة (ت ٢٨١هـ) اعظم من عرف في مدرسة حران كان يجيد اليونانية والسريانية والعبرية ترجم في المنطق والرياضيات والتنجيم والطب ونقح كتاب اقليدس الذي عربه حنين بن اسحق رحل الى بغداد واقام فيها ومن اولاده واحفاده ابراهيم بن ثابت وابو الحسن ثابت واسحق ابو الفرج وكل هؤلاء نبغوا في الرياضيات والفلك (١٨) . واشتهر ابنه سنان بالطب وكان عالما بالظواهر الجوية (١٩) . وكان حفيده إبن سنان عالما بالحكمة والهندسة وله ثلاثة كتب في علم النجوم وله مقالة فيها احدى واربعون مسألة هندسية (٢٠) . واشتهر هلال بن ابراهيم بالطب كما اشتهر ابراهيم بن هلال بالادب وقد رثاه الشريف الرضي (٢١) . لمنزلته في الادب .

(١٥) احمد امين، ضحى الاسلام جـ١ص٢٥٦ .
(١٦) سيدة، كاشف الوليد بن عبد الملك ص ٢٢٦
(١٧) ابن القفطي اخبار الحكماء ص ٢٨٠، ص ٢٨١ ، دائرة المعارف الاسلامية (مادة صابئة (جـ١ص ٩١) .
(١٨) ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ص١٢٤ — ١٢٥، ابن النديم الفهرست ص ٣١٢ .
(١٩) ابن النديم الفهرست ص ٣٠٢
(٢٠) ابن القفطي انباء الحكماء ص ٥٧ — ٥٨
(٢١) ابن القفطي انباء الحكماء ص ٧٥ — ٧٦ .

اما مدرسة نصيبين : —

ونصيبين مدينة تقع بين اعالي بلاد مابين النهرين ودمشق حصنها الرومان تحصينا قويا واصبحت مركز كرسي الاسقفية لوجود نصارى فيها واسس مطران نصيبين مدرسة تحاكي مدرسة الاسكندرية في الفلسفة وكانت الغاية منها نشر اللاهوت الاغريقي بين المسيحيين الذين يتكلمون السريانية (٢٢). ومزج النصرانية بالافلاطونية واغلقت مدرسة نصيبين فانتقلت الى الرها . وهكذا انتقلت فكرة مزج النصرانية بالفلسفة في انحاء الشرق(٢٣). وساعد بذلك على نشر كتب الفلسفة اليونانية التي ترجمها النصارى النساطرة .

واما مدرسة جند يسابور : —

جند يسابور : مدينة تقع في خوزستان اسسها سابور الاول واليه تنسب واسكنها الاسرى الذين اسرهم من جيش الروم وخاصة الذين كانوا على جانب كبير من الثقافة والخبرة الفنية وكان يؤمل استخدامهم مهندسين ومعماريين واطباء وسمح لهم باستعمال لغتهم واتباع ديانتهم كما سمح لهم ببناء الكنائس فتمتعوا بالحرية اكثر مما كان لهم تحت حكم الامبراطورية الرومانية (٢٤) واسس فيها كسرى انو شروان مدرسة للطب كما أنشأ فيها بيمارستان واول من علم بها الطب من اليونان والهنود فالتقت في هذه المدرسة الثقافة اليونانية والهندية والفارسية (٢٥) وقد واصلت هذه المدرسة نشاطها العلمي بعد الفتح الاسلامي وزاد اتصالها بالمسلمين نشاطها العلمي بعد الفتح الاسلامي وزاد اتصالها بالمسلمين في العصر العباسي واشتهر من اساتذتها وطلابها في العصر العباسي جرجيس بن بختيشوع (ت ٧٧١ م) وهو من اطباء واقدم ممثل لطبقة الأطباء الذائعي الشهرة من اسرته ومنهم حفيده جبريل بن بختيشوع (ت ٨٠٠ م) ويحيي بن البطريق الذي اختصه المنصور للقيام بالترجمة وكذلك زكريا إبن يحيي بن البطريق . وممن اشتهر في الترجمة والتأليف في الطب أبو زكريا يوحنا بن ماسويه

(٢٢) اوليري ، انتقال علوم الاغريق إلى العرب ص٦٦ — ٦٧ .
(٢٣) احمد امين ، ضحى الاسلام ج١ ص ١٦٠ .
(٢٤) اوليري ، انتقال علوم الاغريق ص ٢١ .
(٢٥) هونكه ، شمس العرب تسطع ص ١٨١.

(ت ٨٥٧ م) (٢٦) فكان لهم حينئذ شأن كبير في الحركة العلمية في العصر العباسي وبفضل هذه المدرسة .

وكانت هذه المدارس لاتقوم فقط بمهمة تعليم مختلف صنوف العلم المعروفة وانما قامت بدور التعريب والتأليف وتعتبر الفترة الواقعة بين ظهور الفرق المسيحية وبين الفتح الاسلامي للعراق غنية بالترجمة من اليونانية إلى السريانية وذلك لان الفرق المسيحية استخدمت الفلسفة اليونانية لتأييد معتقداتها وكانت الترجمة منصبة على اللاهوت والدراسات الدينية وبعد الفتح ابتدأت الترجمة من اليونانية إلى العربية وذلك منذ العصر الاموي . وشجع الامويون حركة الترجمة إلى العربية واول كتاب طبي ترجم اليها كان في خلافة مروان بن الحكم ٦٤ هـ وهو كناش (٢٧) هرون القس بن اعين وقد احتوى على ثلاثين مقالة نقلها من الارامية إلى العربية ماسرجويه الطبيب البصري وزاد عليها مقالتين (٢٨) .

* دوافع حركة التعريب :

ان حركة التعريب قديمة ترجع جذورها إلى عصر الراشدين ولكن هذه الحركة نشطت في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حين جعلا اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الدولة ومراسلاتها فما لبثت ان اكتسحت لغات الشعوب المفتوحة من فارسية ورومية وقبطية وبربرية ويونانية وسريانية وعبرية واصبحت وحدها شائعة في دار الاسلام لانها لغة الفاتح ولغة الدين .

ان اقبال اهل الذمة باعداد كبيرة على الدخول في الاسلام ساعد كثيراً على انتشار اللغة العربية بينهم لاتقان القرآن وفرائض الاسلام واقتضت الحاجة بالنسبة لهؤلاء الى تنقيط الحروف العربية والى ايجاد قواعد اللغة العربية وهو ما اصطلح على تسميته فيما بعد بعلم النحو (٢٩)

(٢٦) اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة في العراق ص ١٨٤ — ١٨٥ .
(٢٧) كناش ، جمعها كناشات اوراق تجعل كالدفتر تقيد فيها الفرائد والشوارد
(الزبيدي ، تاج العروس ج٤ص٣٤٧ مصر سنة ١٩٤٨)
(٢٨) ابن القفطي ، اخبار العلماء ص ٨٠
(٢٩) ابن خلدون ، المقدمة ٤٥٤ — ٤٥٥ .
Ency of Islam (art Nahw) T3 . P. 894 — 895

ولعل من اقوى الشواهد على المكانة التي اصبحت للغة العربية في الحياة الفكرية اهتمام المثقفين آنذاك بفقهها وتاريخها والاهتمام بفقه اللغة قوى الصلة بالقرآن فكان من الضرورة الماسة ان يفهم العدد الغفير من الداخلين بالعربية التي هي لغة التعبد الاسلامي ، وقد دعت الحاجة الى تمهيد السبل امام هؤلاء الأعاجم الى امتلاك ناصية الدقائق المعنوية في العربية والتضلع في متنها الزاخر بالمفردات وهذا السبب الذي جعل معجم الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري اساساً لنشأة فقه اللغة العربية وتطوره ثم ان سيبويه الفارسي احد تلاميذ الخليل قام بخدمة جليلة عندما وضع علم النحو في صورة نظامية جرت عليها الاجيال المقبلة وكان ينافس سيبويه في هذا العلم الكسائي الكوفي (٣٠) ولذا كان على سكان البلاد المفتوحة ان يتعلموا العربية وان يتمرأوو يكتبوا بها ليستفيدوا منها لدينهم ودنياهم حتى اضطروا ان يتعلموا النحو لاصلاح لغتهم . (٣١) واقبلوا على تعلمها فعلا وتقاوا اليها عاومهم وحتى كتبهم المقدسة كالتوراة والانجيل والزبور (٣٢) وذلك لاظهار تراثهم الحضاري والثقافي للفاتحين ونتيجة لشعورهم برغبة المسلمين للاطلاع على ما عند الامم الاخرى من عاوم ومعارف كما ان اقبال البعض من أهل البلاد المفتوحة على ذلك تحقيقاً لمكاسب مادية ومعنوية (٣٣).

ويبدو ان اقبال المسلمين على تشجيع حركة التعريب يعود ايضاً الى ظهور الفرق الاسلامية وبروز فكرة الاعتزال والقول في القضاء والقدر واحتدام الجدال بين هذه الفرق الاسلامية ثم اتساع نطاق الجدال الديني بين المسلمين وأهل الذمة ولا سيما النصارى واليهود وقد وجد المسلمون ان هؤلاء يتارعونهم الحجج للدفاع عن آرائهم ومعتقداتهم بالمنطق والفلسفة فاقبل المعتزلة على دراسة كتب الفلسفة اليونانية المعربة للاستفادة منها في الدفاع عن الاسلام تجاه اقرانه من الذميين . (٣٤)

وقد لعبت الفتوحات الاسلامية والفكر الاسلامي دوراً كبيراً في عملية التعريب حيث اقبل العرب تحت شعار المساواة بين مختلف الشعوب على التزوج بالاجنبيات من البلاد المفتوحة هذا الاقبال الشديد كان له أثره في اقبالهم على تعلم العربية واتقانها . وتبع ذلك نشاط تجارة

---

(٣٠) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٦ — ٢٧

(٣١) احمد امين ، فجر الاسلام ص ١٧٥

(٣٢) عبد المنعم ماجد ، الحضارة الاسلامية في القرون الوسطى ص ١٥٧ .

(٣٣) اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة في العراق ص ٣٨٢

(٣٤) اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة في العراق ٣٨٣ .

الرقيق واخذ النخاسون يقيمون المدارس لتعليم الجواري الفارسيات والروميات والتركيات اللغة العربية وفنون الغناء واستخدام آلات الطرب ولم يلبث الخلفاء ان انشأوا في جميع المدن المهمة مراكز وجمعوا حولهم كل عالم قادر على ترجمة علوم اليونان وكتبهم ولاسيما كتب أرسطو وجالينوس وغيرهم ونقلها من السريانية الى العربية . ولم يدم اكتفاء ولا العرب بما نقل الى لغتهم طويلا فقد تعلم عدد غير قليل منهم اللغة اليونانية ليستقوا منها مباشرة ثم تعلمـــوا اللغة القشتالية في اسبانيا كما يشهد بذلك ما في مكتبة الاسكوريال من المعجمات العربية اليونانية والعربية اللاتينية والعربية الاسبانية التي الفها علماء من المسلمين . (٣٥) واصبحت مهنة الترجمة حرفة فصارت عملا وراثياً يتولى عليه من الاسرة الواحد تلو الآخر .

وقد بدأت اولى المحاولات للتعريب في العهود الاسلامية بـ (تعريب النقود) وذلك منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد ضرب الدراهم على نقش الكسروية وجعل نقش بعضها (الحمد لله) ونقش بعضها الآخر (محمد رسول الله)او (لااله الا الله وحده) وثبت معيارها واوزانها وضرب عثمان بن عفان دراهم عربية بنقش (الله اكبر) (٣٧) اما علي بن طالب فقد شغلته الفتنة عن ضرب عملة جديدة ، ولما تولى معاوية بن ابي سفيان الخلافة كتب الى زياد بن ابيه والي العراق ليضرب عملة جديدة غير عملة عمر ينقش عليها اسمه . (٣٨) ولما اعلن عبد الله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز ضرب دراهم ونقش على احد وجهي الدرهم (محمد رسول الله)وعلى الوجه الآخر (امر الله بالوفاء والعدل) (٣٩) وضرب أخره مصعب سنة ٧٠هـ دراهم في العراق اعطاها للناس في العطاء . (٤٠) نقش على احد وجهي الدرهم (بركة) وعلى الوجه الآخر كلمة : (الله) (٤١) .

---

(٣٥) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ص ٤٣٣ — ٤٣٤ .

(٣٦) المقريزي ، كتاب النقود ص ٣٢ .

(٣٧) المصدر ، السابق والصحيفة .

(٣٨) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٧٣ .

(٣٩) المصدر ، السابق والصحيفة .

(٤٠) المقريزي ، ص ٣٣ .

(٤١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ص ١٤٨ .

ولم يكن في الامصار الاسلامية في بداية العهد الاموي سكة عربية اسلامية معترف بها قبل مجيء عبد الملك بن مروان بل كان لامراء الولايات دورسك خاصة يسكون فيها العملة حسب احتياجاتهم ولهذا كانت قيم النقد غير مستقرة الامر الذي شجع على التزييف والتلاعب (٤٢) .

وان مافعله عبد الملك والحجاج من تعريب للنقود انما جاء مبنياً على ماصنعه عمر بن الخطاب حين نظر إلى الدراهم الفارسية التي اختلفت اوزانها عشرة قراريط او اثني عشر قيراطاً ، او عشرين قيراطاً فجمع ذلك فبلغ اثنين واربعين فاخذ ثلثه او (معدله) فكان اربعة عشر قيراطاً فجعله الوزن الشرعي . (٤٣) الذي حدده عمر كاملا غير منقوص. (٤٤) وروى البلاذري (٤٥) ان سعيد بن المسيب سأل : عن أول من ضرب الدنانير المنقوشة؟ فأجاب : عبد الملك بن مروان عام الجماعة سنه ٧٤ هـ وان ضرب الدراهم بدأ في سنة ٧٥هـ ثم أمر بتعميمه في جميع النواحي سنة ٧٦ هـ . وقال ابن لاثير : (٤٦) انه لما صارت الخلافة إلى ملوك بني امية وقد اغفلوا امر المعاملة بما تشاغلوا به عن امور نفوسهم تفاحش الغش في التجارة وصارت تنسب إلى الروم سكة ليست من ضرب الفرس فيما ابتدع الناس من دنانير كسرى وقيصر فعني عبد الملك بتمييز المغشوش من الدنانير والدراهم فضرب السكة في دمشق ويرى البعض من المؤرخين ان هناك صلة من سوء العلاقات بين دولتي الاسلام والروم وبين تفكير المسلمين في ضع عملة مستقلة لهم (٤٧) ويعلل هذا الاجراء بسبب ان الحرب ادت إلى انقطاع التجارة وقلة النقد مما دعا عبد الملك إلى الشروع في اصدار عملة خاصة ليحقق للدولة استقلالها الاقتصادي فأنشأ داراً للضرب .

وقيل : ان الحرب اقترنت بمسألة خطيرة وادت من سوء العلاقات لمساسها بالدين والمصلحة الاقتصادية وهي مسألة (القراطيس) (ورق الكتابة) التي ذكرتها المصادر العربية وخلاصة هذه المسألة كما ذكر البلاذري(٤٨)ان القراطيس كانت تؤخذ من مصر الى بلاد الروم

(٤٢) الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ص ٤١٤ .
(٤٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٧١ .
(٤٤) المقريزي ، كتاب النقود ص ٣١ —٣٣.
(٤٥) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٧١ .
(٤٦) ابن الأثير ، الكامل ج ٤ص ١٧٤ بولاق ١٢٩٠ هـ.
(٤٧) الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الأسلامية ص ٢٢١ ، الاتليدي اعلام الناس ص ٢٧٤ .
EGibbon The Decline and fall the Roman Empire Vol 5. P 388
(٤٨) البلاذري فتوح ص ٤٤٩ .

التي تضرب فيها الدنانير وكانت الاقباط تكتب رؤوس في الطوامير (الصحف) عبارات تنسب الربوبية إلى المسيح كما ترسم في صدرها الصليب فأمر عبدالملك ان يكتب في مكانها اية (قل هو الله أحد) وغيرها من ذكر الله فكره ذلك ملك الروم واشتد عليه ، وكتب إلى الخليفة : (انكم احدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه فان تركتموه ، والا آتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ماتكرهونه) قال : فكبر ذلك في صدر عبدالملك لانه كره ان يدع سنة حسنة . سنها ازاء هذا التهديد فاستشار من حوله فأشار عليه خالد بن يزيد بن معاوية بأن يحرم دنانيرهم ويمنع التعامل بها ويضرب للناس سككاً ويمنع ان يدخل بلاد الروم شيئ من القراطيس (فمكثت حينا لاتحمل اليهم) . فانقطعت التجارة التي كان بها يتم التبادل بالاوراق والدنانير ويبدو ان السبب المباشر الذي دفع عبدالملك إلى تعريب النقود يعود إلى توقف التجارة وانقطاع النقد ورغبة في تحقيق الاستقلال الاقتصادي للدولة فأنشأ داراً للضرب (٤٩) كما أشرنا سابقاً وضرب دنانير ذهبية عرفت بالدمشقية (٥٠) .

ويعلل امير علي (٥١) الاجراء بقوله : ان الدولة الاسلامية التي مضى عليها اكثر من نصف قرن منذ ايام الفتح الاولى لايمكنها ان تظل معتمدة في نشاطها الاقتصادي المتزايد على النقد الاجنبي كما ان العملة الفارسية كانت مغشوشة ومضطربة لفساد الوضع في الدولة الفارسية ويؤيد ذلك ما رواه الماوردي (٥٢) بقوله : وقد كان الفرس عند فساد امورهم فسدت نقودهم فجاء الاسلام ونقودهم من العين والورق والفضة والذهب غير خالصة الا انها كانت تقوم في المعاملات مقام الخالصة إلى ان ضربت الدراهم الاسلامية فتميز المغشوش من الخالص) .

ورغم أن العملة البيزنطية والفارسية كانت متداولة بجانب العملة المحلية الا أن اتساع اطراف الدولة العربية وتقدم التجارة ادى الى وضع نظام ثابت للنقد (٥٣) مما دفع عبدالملك بن مروان إلى ضرب سكة اسلامية جديدة واصبحت النقود عربية صرفة . (٥٤) وبعث بها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق حتى اذا فرغ من ضرب الدراهم بعث بالسكة

---

(٤٩) جرجي زيدان ، تأريخ التمدن الاسلامي ج١ ص ٩٨.
(٥٠) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٧٢.
(٥١) أمير علي ، مختصر تأريخ العرب والتمدن الاسلامي ص ١٦٤.
(٥٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية ص ٦٤٨ .
(٥٣) سيد أمير علي ، مختصر تأريخ العرب ص ١٦٥ .
(٥٤) ابن الأثير ، الكامل ج ٤ ص ١٧٣ .

إلى سائر الامصار لتضرب الدراهم بها وكان قد ضرب في دمشق دنانير من الذهب سنة ٧٣ هـ بعد أن كانت كلها حتى ذلك التاريخ رومية (٥٥) وبعد إن فرغ عبدالملك من ضرب الدنانير والدراهم كتب إلى عماله بالامصار يأمرهم بأن يقسروا الناس على التعامل بالسكة الجديدة وان يتهدد بالقتل كل من تعامل بغيرها من العملة القديمة وان يجمعوا له النقود القديمة المتداولة حتى يحولها إلى سكة اسلامية (٥٦) .

وفي عهده ايضاً بدأ بتعريب الدواوين ولا سيما تلك التي وجدت في البلاد المفتوحة اما الدواوين الاولى (الجند وبيت المال) فقد كانت باللغة العربية منذ نشأتها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٥٧) اما التي وجدت في البلاد المتوحة فقد ابقاها العرب على حالها وهي المختصة بالجباية وحساباتها فظلت على ما كانت عليه ، ففي العراق وسائر بلاد الشرق كانت بالفارسية وفي الشام كانت بالرومية (٥٨) (اليونانية) وفي مصر بالقبطية . (٥٩) ويبدو ان دوافع تعريب الدواوين المالية كان يقصد منه ضبط اعمالها والاشراف عليها منعاً من الغش والتزوير (٦٠) وادى هذا الاجراء (التعريب) إلى ايجاد طبقة جديدة من الكتاب والى نهضة لغوية ادبية رائعة (٦١) .

بدأ عبدالملك بعمله الجليل هذا بتعريب دواوين الشام امر كاتبه على الرسائل سليمان بن سعد الخشني أن يحول الديوان من الرومية إلى العربية (٦٢) وكان ذلك سنة ٨١ هـ . وقد طلب من عبدالملك ان يجعل له خراج الاردن في مقابل العمل والذي بلغ يومئذ ١٨٠ الف دينار (٦٣) .

اما دواوين العراق فقد عربت ايام ولاية الحجاج بن يوسف على العراق فقد عهد إلى صالح بن عبدالرحمن بنقل الديوان من الفارسية إلى العربية وقد كان صالح يحذق

---

(٥٥) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٧٢ – ٤٧٣
(٥٦) الدميري ، حياة الحيوان جـ١ ص٧٦ .
(٥٧) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص ٣٨ .
(٥٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية ص ١٩٢ .
(٥٩) المقريزي ، الخطط جـ١ ص ٩٨ .
(٦٠) امير علي ، مختصر تاريخ العرب ص ١٦٦ .
(٦١) الريس ، الخراج والنظم المالية ص ٢٢٧ .
(٦٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٠١ ، الجهشياري الوزراء ص ٤٠
(٦٣) البلاذري ، فتوح ص ٢٠١ .

الفارسية والعربية معاً وجعل له اجلا لذلك فأتم صالح مهمته بنجاح وقيل : ان (مراد نشاه) ابن (زازان فروخ) كاتب الحجاج بذل له مائة الف درهم على ان يظهر العجز عن هذا العمل ويمسك عنه فأبى فدعا عليه اذ أنه قطع أصل الفارسية (٦٤) .

وقد عربت الدواوين المصرية في ولاية عبدالله بن عبد الملك في خلافة الوليد سنة ٨٧هـ وصرف (انشناس) عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص (٦٥) غير ان الدواوين المالية في خراسان لم تعرب وبقيت بالفارسية وكان اكثر كتابها من المجوس حتى كتب يوسف بن عمر في سنة ١٢٤ هـ إلى نصر بن سيار عامله على خراسان يأمر بنقله إلى العربية ولايستعان فيه من الكتاب بغير المسلمين وقام بعملية التعريب هناك اسحاق بن طليق الكاتب — من بني نهشل — وقد كان مع نصر بن سيار فاصبح خاصاً به (٦٦) .

اما تعريب العلوم فقد بدأت المحاولات الاولى فيه خلال العصر الاموي وكانت على الاغلب جهود فردية وعلى نطاق ضيق واقتصرت على العلوم العملية كالطب والفلك والعلوم العقلية (كالمنطق والفلسفة والهندسة) كما عربت بعض الالفاظ اليونانية واطلقوا عليها كلماتها الاصلية مثل البرجد (وهو كساء غليظ مخطط (واسماء اشياء عرفها العرب بعد اتصالهم بالروم كالزبرجد والزمرد والياقوت ومقاييس واوزان رومانية كالقيراط والاوقية واسماء طبية او نباتية كالقولنج والبرقوق او كلمات نصرانية كالجاثليق والبطريق وغيرهم (٦٧) . وقد توسعت حركة التعريب خلال القرن الاول الهجري بأثير المسيحيين ورغبة بعض الامويين فان خالد بن يزيد الاول (ت ٨٥ هـ) كان عالما واديبا ومن اول المحبين لعلوم اليونان فامر بترجمة الكتب في علم الهيئة والطب والكيمياء حتى روى انه انه وجد الحجر الفلسفي الذي يصنع به الذهب الاصطناعي (٦٨) .

وترى هونكه (٦٩) ان لفشل الامير الاموي خالد بن يزيد واكراهه على التنازل عن العرش اثر كبير في نفسه دفعه إلى حقل جديد مجاله العلوم وابحاثها .

ويرى بعض المؤرخين (٧٠) ان نتيجة خالد بن يزيد عن الخلافة وغلبه مروان بن الحكم عليها كانت صدمة قوية للامير خالد فتحول إلى ملهى يلهو به ويناسب ارستقراطينه

(٦٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .
(٦٥) المقريزي ، الخطط جـ١ ص ٩٨ .
(٦٦) الجهشياري ، الوزراء ص ٦٧ .
(٦٧) احمد امين ، ضحى الاسلام جـ١ ص ٢٨١ .
(٦٨) بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٦٩
(٦٩) هونكة ، شمس العرب تسطع ص ٣٧٨
(٧٠) احمد امين ، ضحى الاسلام جـ١ ص ٢٧٠

فكان ذلك هو (الصنعة) رأى انه اذا استطاع ان يحول المعادن الى ذهب استطاع ان يحول الناس اليه أو على اقل سيكون له من المنزلة مايحسده عليها الخلفاء .

وهذا الرأي ينسجم مع مااشار اليه ابن النديم (٧١) من قول خالد : مااطلبه بذلك الا ان اغني اصحابي واخواني ، ان طمعت في الخلافة فاختزلت دوني فلم أجد منها عوضاً الا ان ابلغ آخر هذه الصناعة فلا احوج احداً — عرفني يوماً او عرفته — الى ان يقف بباب سلطان رغبة او رهبة .

وشجع عمر بن عبد العزيز تعريب كتب الطب فأمر بنشر كتاب الطب الشرعي الذي نقله الى العربية متطبب البصرة مارسرجونه في عهد الخليفة مروان بن الحكم وقد وجده في خزائن الكتب بالشام (٧٢) .

واشهر من قام بدور التعريب في العصر الاموي الرهاوي الذي ترجم كثيراً من كتب الإلهيات اليونانية الى العربية (٧٣) . واضطلع السريانيون بنشر الفلسفة اليونانية في العراق وماحوله واخذوا ينقلون الكتب اليونانية الى لغتهم السريانية وهي احدى اللغات الارامية — التي انتشرت فيما بين النهرين والبلاد المجاورة لها — وكان من اهم مراكزها الرها ونصيبين وظلت هذه المدن مراكز للثقافة اليونانية الى مابعد الفتح الاسلامي تدرس فيها الرياضيات والفلك والفلسفة على المذهب الافلاطوني وهم الذين تسموا — بعد ذلك — في عصر المأمون وبعده بالصابئيين وكان منهم كثير من المؤلفين وممن تولوا الترجمة الى العربية بعد ذلك . وخدم السريانيون العلم والفلسفة بما ترجموا من كتب الفلسفة اليونانية التي اصبحت الاساس الذي اعتمد عليه العرب والمسلمون وكان لهم الفضل الكبير في نقل الفلسفة والعلوم الى العربية في العصر العباسي (٧٤) .

ان العرب مع كثرة مانقلوه عن اليونان لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية او الادبية او الشعر مع انهم نقلوا من تاريخ الفرس واخبار ملوكهم ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوديسته ويرى بعضهم ان اكثر مابحث المسلمين على النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق ويرى

---

(٧١) ابن النديم ، الفهرست ص ٣٥٤

(٧٢) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ج١ ص ١٦٣

(٧٣) احمد امين ، فجر الاسلام ص ١٦٢

(٧٤) احمد امين ، فجر الاسلام ص ١٥٩ .

غيرهم ان الراحلين من اليونان ايام الاضطهاد الى حران لم يكونوا ادباء ولامؤرخين وانما كانوا فلاسفة واطباء (٧٥) .

ويرى بعض المؤرخين (٧٦) أن وراء عملية التعريب قوى ظاهرة وخفيفة تحركها نوايا خيرة تريد خدمة العلم والعمل على نشره أو سيئة تريد أن تشيد بماضي الفرس وتراثهم وتعمل على الحط من تراث العرب مضمرة السوء للمسلمين . ويبدو ان للازدهار الحضاري ونشاط الحركة العلمية والثقافية دوراً كبير في نشاط حركة التعريب فقد أخذ المثقفون الفرس يعربون تراث آبائهم في التنجيم والهندسة والجغرافية وخاصة ممن يجيدون اللسانين الفارسي والعربي ويبدو انهم قلة بالمقارنة بمن نقل عن اليونانية والسريانية ومرده إلى العلاقة السياسية ومجرى التيار الحضاري .

وقد أقبل كثير من الفرس على حذق اللغة العربية والتثقف بآدابها فقد عجب الجاحظ بموسى بن سيار الاسواري — أحد القصاص — فقال ومن أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية وكان يجلس في مجلسه المشهور فيعقد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية في كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية (٧٧) . ويقول عنهم أحمد أمين ان هؤلاء الفرس الذين تعربوا وهؤلاء العرب الذين أخذوا بقسط من الثقافة الفارسية ملأوا الدنيا في العصر العباسي علماً وحكمة وشعراً ونثراً لسيادة اللغة العربية فكان نتاج العقول الفارسية الراجحة انما هو باللغة العربية لا الفارسية (٧٨) .

وقد عقد ابن النديم (٧٩) في كتابه الفهرست فصلا بأسماء النقلة من الفارسية إلى العربية ذكر منهم عبدالله بن المقفع وآل نوبخت وموسى ويوسف إبني خالد ومحمد بن الجهم البرمكي وزادويه بن شاهويه الأصفهاني ومحمد بن بهرام بن مطيار الأصفهاني وبهرام بن بن مردان شاه وعمر بن الفرخان الطبري واسحق بن يزيد الذي نقل إلى العربية كتاب سيرة الفرس المعروف باختيار نامه والبلاذري أحمد بن يحيى بن جابر المؤرخ المشهور وقد ترجم عهد أردشير شعراً ولم يعن المترجمون بترجمة وتعريب كتب تاريخ الفرس فقط بل عربوا

(٧٥) انظر رفاعي، عصر المأمون ص ١٦٣، حاشية (١) .
(٧٦) احمد امين فجر الاسلام ٢٦٣
(٧٧) الجاحظ، البيان والتبيين جـ١ ص ١٣٩ .
(٧٨) احمد امين، ضحى الاسلام جـ١ ص ١٨١ .
(٧٩) ابن النديم، الفهرست ص ٢٢٤ وما بعدها .

الكتب الدينية ككتاب زرادشت المسمى (الافستا) وما عليه من شروح ،كما ترجموا في الأدب عن الفرس كتاب كليلة ودمنة واليتيمة والأدب الكبير والصغير وكتاب (هزار أفسانة) ومعناه ألف خرافة وكتاب موبذ موبذان وكتاب اردشيرفي التدبير وتوقيعات كسرى وكتاب أدب الحرب (٨٠) .

وان ماترجم عن العبرية لايتعدى الاهتمامات الدينية اليهودية من ذلك ترجمة التوراة إلى العربية التي قام بها سعديا الفيومي المصري في عام ٣٣٠ هـ وهو أقدم من نقله إلى العربية ووضع عليها الشروح والتفاسير وذلك لسيادة اللغة العربية على مايبدو وان مانقل عن الهندية كتب الطب والنجوم والرياضيات والحساب وبعض كتب السحر (٨١) .

وأهم ماعرب من كتب الهند كتاب عرف (السند هند) لمؤلفه (براهما جوبتا) في حركات النجوم وأمر المنصور بترجمته إلى العربية وبأن يؤلف كتاب على نهجه وعهد بهذا العمل الى محمد بن ابراهيم الفزاري الذي ألف على نهجه كتاب يعرفه الفلكيون باسم (السند هند الكبير) وقاد هذا الكتاب إلى ابحاث كثيرة في الفلك ومنه أيضاً عرف العرب نظام الأرقام والأعداد الهندية (٨٢) .

لقد بدأت حركة تعريب واسعة النطاق في النواحي العلمية والثقافية في العصر العباسي الأول منذ خلافة المنصور الذي كان شغوفاً بالطب والهندسة ويعتقد بالنجوم وهو أول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة فبعث اليه كتاب اقليدس وبعض كتب الطبيعيات (٨٣) وجمع حوله العلماء وشجعهم على ترجمة العلوم من اللغات الأخرى وقد عرب كل من جورجيس بن جبرائيل الطبيب وعبد الله بن المقفع كتب المنطق لأرسطو طاليس واعتنى يوحنا بن ماسويه وسلام الأبرش وباسيل المطران بكتب الطب (٨٤). وفي عهده قام ابراهيم الفزاري بتعريب كتاب الفلك الهندي المسوسوم بـ (السند هند) (٨٥).

كما استهل أبو يوسف يعقوب الكندي (فيلسوف العرب) وأحد العقول الكبرى في تاريخ العالم آنذاك نشاطه الفكري الذي لم يقتصر على تعريف مواطنيه بالفلسفة الأرسطو طاليسية والأفلاطونية عن طريق الترجمة فحسب بل تعدى ذلك إلى توسيع آفاقهم العقلية بما أخرج

---

(٨٠) احمد امين ، ضحى الاسلام ج١ ص ١٧٩ .
(٨١) شاكر مصطفى ، التعريب في الاسلام ص ٥٢ .
(٨٢) زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ص ٧٣، ٧٤ .
(٨٣) حاجي خليفة ، كشف الظنون ج١ ص ٦٧١ .
(٨٤) انظر : رفاعي ، عصر المأمون ج١ ص ٣٧٩ .
(٨٥) بروكلمان ص ٤٠٠ .

من دراسات في التاريخ الطبيعي وعلم الظواهر الجوية مكتوبة بروح تلك الفلسفة (٨٦) .

وقد زادت عناية الرشيد واهتمامه بتعريب الكتب فأمر بترجمة جميع ماوقع في حوزتهم من الكتب اليونانية كما وسع ديوان الترجمة الذي كان قد أنشأه المنصور لنقل العلوم الى العربية وزاد عدد موظفيها فأسند تعريب الكتب الى الطبيب يوحنا بن ماسويه وعين له كتاباً حذاقاً يشتغلون بين يديه ويساعدونه في عمله (٨٧) . وكان الفضل بن نوبخت المكنى بأبي سهل الفارسي ينقل كتب حكماء الفرس التي جمعت من خراسان وفارس الى العربية (٨٨) . ومثله علان الفارسي الذي كان يعمل في خزانة الحكمة ويترجم للرشيد وللبرامكة (٨٩) .

ولما تولى المأمون الخلافة اهتم بتعريب علم الأوائل واقتدى بسياسة والده الرشيد في اهتمامه بالعلوم واخذ يضمن شروط الصلح مع ملوك الروم ارسال كتب الحكمة فكان أحد شروط الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث ان ينزل للمأمون عن احدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية وكان من بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس في الفلك فأمر المأمون بتعريبه وسماه المجسطي (٩٠) . كما أنشأ بيت الحكمة وهو مجمع علمي ومرصد فلكي ومكتبة يقيم فيه طائفة من المترجمين من أهل الذمة وتجري عليهم الأرزاق من بيت المال . وأرسل المأمون بعد ذلك بعثة علمية لشراء كتب الحكمة من بلاد الروم مكونة من الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب دار الحكمة فأخذوا مما اختاروه عدداً كبيراً وحملوه الى بغداد فامرهم المأمون بتعريبها فاجتمع عنده في دار الحكمة مجموعة كبيرة من كتب الفلسفة والمنطق والموسيقى والفلك وغيرها (٩١) الى جانب كنوز العلوم الاسلامية (٩٢) . وما أضافه الرشيد والمأمون من كتب العلم في لغات مختلفة وما جمعه يحيى خالد من كتب الهند (٩٣) .

---

(٨٦) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٤٠ .

(٨٧) ابن القفطي ، اخبار الحكماء ص ٢٤٩ ،
ابن ابي اصيبعة ، ج١ ص١٧٥ ،
خليفة ، كشف الظنون ج١ ص ٦٨٠

(٨٨) ابن النديم الفهرست ص ٢٤٧ .

(٨٩) المجسطي : ومعناه الترتيب الكبير في علم الفلك وكان المرجع المهم في الفلك عند المسلمين وعند الاوربيين في القرون الوسطى (جواد علي تاريخ العرب قبل الاسلام ج١ ص ٦٨٠)

(٩١) ابن ، النديم الفهرست ص ٣٣٩ .

(٩٢) بروكلمان ، ص ٣٩ .

(٩٣) محمد فوزي الفتيل ، التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها ص١ الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ .

وبلغت حركة التعريب أشدها في عهده اذ حرص على نقل مايتفق مع العقلية العربية الجديدة من التراث الهيليني والشرقي الى العربية ، فقد بلغ التمازج الثقافي بين الثقافة العربية الاسلامية الجديدة وعلوم الأولين درجة كبيرة من التقدم .ويرى البعض من المؤرخين(٩٤) ان ازدهار التعريب لايعطي للمأمون أكثر من كونه رمزاً للعصر وليس بالمحرك ولا الباعث له اذ لم يبق المأمون في بغداد أكثر من عشر سنوات بين ٢٠٤ — ٢١٤ وكان تشجيعه للعلماء في جانب كبير منه عملا سياسياً أكثر مما هو علمي وكان مافعله المأمون في هذا المجال انه وسع دائرة الترجمة الموجودة في البلاط العباسي فجعل من مهمة (خزانة الحكمة) وأصحابها تعريب الكتب الفلسفية أيضاً .

ويرى بعض المؤرخين (٩٥) أن المأمون قد تأثر بالاعتزال عن طريق استاذه ومؤدبه يحيى بن المبارك الذي كان قد اتصل به منذ صباه في ايام الرشيد بالاضافة الى انه كان محوطاً بشيوخ الاعتزال أمثال ثمامة بن اشرس ويحيي بن اكثم . أو انه أراد من اتخاذ الاعتزال مذهباً رسمياً للدولة أن يظفر بتكوين دولة موحدة سياسياً بامتزاج الاحزاب وتوحيد القوى لاستتباب الامن فكان يريد ان يتخذ من مذهبه الديني مذهباً وسطاً الا أنه لم يظفر بعنايته لامن الوجهة السياسية بانتهاء حياة الرضا بالموت مسموماً ولا من الوجهة الدينية التي لم ترض عنها المذاهب الاسلامية الاخرى .

وفي عهده ترجمت كتب اليونان الكبرى مثل كتب افلاطون وارسطو في الفلسفة وابقراط وجالينوس في الطب واقليدس وارخميدس وبطليموس وغير ذلك (٩٦) .

ان عنصر التعريب الحقيقي انما قادته جماهير المتعلمين والمترجمين عبر عهد المأمون في عهد المعتصم والواثق والمتوكل واستمر التعريب في عنفوانه وكثافته حتى اواسط القرن الثالث الهجري وان المد التعريبي لم ينقطع وقد استمر حتى اواسط القرن الرابع الهجري .

لقد ازدهرت حركة التعريب والترجمة على ايدي اهل الذمة الذين عكفوا على ترجمة وتعريب امهات الكتب السريانية واليونانية والفهلوية والسنسكريتية وكان ذلك بتأثير الخلفاء العباسيين الا انهم لم يكونوا وحدهم يهتمون بالترجمة والنقل إلى العربية بل نافسهم الوزراء والأمراء والاغنياء واهل العلم واخذوا ينفقون الاموال الطائلة عليها (٩٧)

(٩٤) شاكر مصطفى ، التعريب في الاسلام ص ٤٧ — ٤٨ .
(٩٥) رفاعي ، عصر المأمون ص ٣٦٧ ، ص ٣٧٢ .
(٩٦) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٤٧ ، ص ١٥٠ .
(٩٧) اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة في العراق ص ٣٨٢ .

قال ابن الطقطقي (٩٨) ان البرامكة شجعوا تعريب صحف الاعاجم حتى قيل ان البرامكة كانت تعطي المعرب زنة الكتاب المعرب ذهباً وبالغ الفتح بن خاقان وزير المتوكل في انفاق الاموال على الترجمة والتأليف ولم يكن محمد بن عبد الملك الزيات أقل منه سخاء في هذا وممن اشتهر بتشجيع حركة التعريب والتأليف من الاغنياء محمد واحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر المنجم الذين أنفقوا الأموال الضخمة في الحصول على كتب الرياضيات وترجمتها وكانت آثارهم قيمة في الهندسة والموسيقى والنجوم وقد أنفذوا حنين بن سحاق إلى بلاد الروم فجاءهم بطرائف الكتب وفرائد المصنفات (٩٩) .

وممن عرب لهم الكتب بالاضافة إلى حنين بن اسحق عيسى بن الحسن وثابت بن قرة وكانوا يرزقونهم في الشهر نحو خمسمائة دينار (١٠٠) .

ولو رجعنا إلى المصادر التاريخية التي تناولت تدوين اسماء النقلة لوجدنا اسماء جمهرة كبيرة منهم اضحوا يشكلون طبقة بارزة وواضحة في المجتمع العباسي يذكر بن ابي اصيبعة انه كان في بلاط الخلافة العباسية منهم ستة وخمسون رجلا من اهل المذاهب

واضطر النقلة إلى استخدام الكثير من المصطلحات والصيغ الاعجمية اليونانية والسريانية والفارسية والهندية على صبغتها الاجنبية على الرغم من أن التراجمة باللغة العربية ابكروا معظم الألفاظ والمصطلحات من العربية فان أعجزهم ذلك استعاروا الكلمات الاجنبية نفسها (١٠١) .

ومن آثار مشاركة الفرس في العصر العباسي في الادارة والدواوين والقيادة والامارة والاختلاط والتمازج بين العرب والفرس خاصة ان تسربت إلى اللغة العربية بعض الالفاظ الفارسية وذلك لان العرب المسلمين بعد الفتح الاسلامي وجدوا بعض أسماء الادوات والحاجات وأنواع المأكولات والملابس لايوجد لها مقابل في العربية فاضطروا إلى تعريبها أو أخذها كما هي بلغتها الاجنبية بما يتفق واللسان العربي (١٠٢) وساعد هذا الاختلاط أيضاً على نقل بعض تراث الفرس الحضاري في الادب والتاريخ والقصة كما قام من يجيد منهم اليونانية والهندية بترجمة كثير من أسماء الادوات والالفاظ اليونانية والهندية إلى العربية (١٠٣) .

---

(٩٨) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٣٥ .
(٩٩) انظر ابن النديم ، الفهرست ص ٣٤٠ .
(١٠٠) رفاعي ، عصر المأمون جـ١ ص ٣٧٧ .
(١٠١) شاكر مصطفى ، التعريب في الاسلام ص ٥٤ .
(١٠٢) انظر احمد امين ، ضحى الاسلام جـ١ ص ١٧٤ .
(١٠٣) اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة ص ٤٠٠ .

ونختتم بحثنا هذا بالقول ان نشاط حركة التعريب كان بدافع رسمي وشعبي وكان للاسلام أثر كبير في نجاح عملية تعريب الامم التي انتشر الاسلام فيها كما لعبت الحركات السياسية والفكرية والازدهار الثقافي والحضاري ورغبة بعض خلفاء المسلمين دوراً بارزاً . ومهماً في توسع هذه الحركة وانتشارها بين اغلب الشعوب التي خضعت لدار الاسلام

* مصادر ومراجع البحث *

المصادر الاصلية

ابن أبي أصيبعة — موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ٦٦ هـ / ١٢٧٠م .
١ . (عيون الانباء في طبقات الاطباء) .
بيروت ، دار الفكر ، ١٩٥٦ .

ابن الاثير — أبي الحسن علي بن الكرم بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري والمكنى بعز الدين ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م .
٢ . (الكامل في التاريخ)
طبعة بولاق ١٢٩٠ هـ ، مصر .

ابن خلدون — عبدالرحمن المغربي ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م .
٣ . (المقدمة) .
مطبعة مصطفى محمد — القاهرة .

ابن شيت — ايليا مطران نصيبين
٤ . (كتاب المجالس السبعة (مخطوط)
وهو رسالة الوزير المغربي العباسي للمطران ايليا
من مقتنيات الاستاذ سعيد الديوجي — الموصل .

ابن الطقطقي — فخر الدين محمد بن علي بن طباطبا ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ م
٥ . (الفخري في الآداب السلطانية)
مطبعة محمد علي صبيح — القاهرة .

ابن القفطـــي — جمال الدين بن الحسن علي بن يوسف ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م

٠٦ (تاريخ الحكماء) ويسمى (مختصر الزوزني)
من كتاب (أخبار العلماء بأخبار الحكماء)
طبع ليبزك ١٣٢٠ هـ.

ابن النديم — ابن النديم ت ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م

٧. (الفهرست)
سلسلة روائع التراث العربي / مكتبة خياط / بيروت.

البلاذري — أحمد بن يحيي بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

٨. (فتوح البلدان)
نشر صلاح الدين المنجد
مطبعة الموسوعات ١٩٠١ القاهرة.

الجاحظ — ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨م

٩. (البيان والتبيين).
نشر مكتبة المثنى، بغداد.

الجهشياري — محمد بن عبدوس ت ٣٣١ هـ

١٠. (الوزراء والكتاب).
مطبعة البابي الحلبي، ٢٠ مر ١٩٣٨ م

خليفة — مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م

١١. (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)
دار المعارف التركية ١٩٤١ م

الدميري — كمال الدين ت ٨٠٨

١٢. (حياة الحيوان الكبرى)
المطبعة الأميرية، القاهرة ١٢٧٤ هـ.

الشهرستاني — ابي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد
(ت ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م)
١٣ . (الملل والنحل)
تحقيق محمد سيد كيلاني
نشر مصطفى الياس الحلبي / مصر ١٩٦١ م

الماوردي — أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري البغدادي
ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م
١٤ . (الأحكام السلطانية والولايات الدينية)
مطبعة الوطن ١٢٩٨ هـ / القاهرة .

المقريزي — تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م
١٥ . (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار)
مطبعة بولاق / مصر
١٦ — (شذور العقود في ذكر النقود) نشر جيرارد ١٧٩٧ م

٢ — المراجع الحديثة

أمين — أحمد
١٧ (فجر الاسلام)
مطبعة لجنة التأليف ١٩٣٥ ط ٣ القاهرة .
١٨ . (ضحى الاسلام)
نشر دار الكتاب العربي ط ٣ بيروت

ارليرى — دي لاسي
١٩ . (انتقال علوم الأغريق إلى العرب)
مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٨

بروكلمان — كارل
٢٠ . (تاريخ الشعوب الاسلامية) ط ٣
دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦١

بارتولد — ف
٢١ . (تاريخ الحضارة الاسلامية)
ترجمة حمزة طاهر
ط ٣ طبع دار المعارف بمصر

للخربوطلي علي حسني
٢٢ . (تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي)
دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م

در اور الليدي
٢٣ . (الصابئة المندائيون)
ترجمة نعيم بدوي و غضبان رومي
مطبعة الارشاد — بغداد ١٩٦٩ م

ديمومين موريس غود فروا
٢٤ . (النظم الاسلامية)
ترجمة صالح الشماع و رفيقه
مطبعة الزهراء — بغداد ١٩٥٢

ديورانت ول
٢٥ . (قصة الحضارة)
طبع الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

رفاعي أحمد زيد
٢٦ . (عصر المأمون)
مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨ م

الريس محمد ضياء الدين
٢٧ . (الخراج و النظم المالية للدول الاسلامية)

زيدان جرجي
٢٨ . (تاريخ التمدن الاسلامي)
طبع دار الهلال القاهرة

سديو ل . أ
٢٩ . (تاريخ العرب العام) ترجمة عادل زعيتر
نشر البابي الحلبي / مصر ١٩٤٨

شاكر مصطفى
٣٠ . (التعريب في الاسلام)
مقالة بمجلة البيان الكويتية التي تصدرها رابطة الأدباء العدد ١١١ حزيران ١٩٧٥ .

علي سيد أمير
٣١ . (مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي)
ترجمة رياض رأفت .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ / القاهرة .

غنيمة يوسف رزق الله .
٣٢ . (نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق)
مطبعة الفرات — بغداد ١٩٢٤ م

لوبون غوستاف
٣٣ . (حضارة العرب)
ترجمة عادل زعيتر
مطبعة عيسى البابي الحلبي

ماجد عبد المنعم
٣٤ . (الحضارة الاسلامية في القرون الوسطى)

هونكة زيغريد
٣٥ . (شمس العرب تسطع على الغرب)
المكتبة التجارية بيروت

اليوزبكي ترفيق سلطان
٣٦ . (تاريخ أهل الذمة في العراق)
رسالة دكتوراه غير منشورة .

37- E. Gibbon
The Decline and fall the Roman Empire (London 1911)
38- The Encyclopedia. of Islam (art Nahw)
39- The Jewish Encyclopedia . I. P. 16 U. S. A. 1951 .
40- Goiten
Tews and Arabs
New York 1955